نزول القرآن الكريم – دراسة في الاهداف

م.م علي خضير عواد شريف الزيدي
مديرية تربية ذي قار / شعبة البحوث والدراسات
alijarjes30@gmail.com

الملخص:

تناولت في المبحث الأول فوائد معرفة أسباب النزول فكان منهج البحث في الاعداد اقسام الآيات بالنسبة لسبب النزول ومعرفة سبب نزول الآية على التعيين والسبب الخاص الموجب لنزولها

اما المبحث الثاني فقد تناول أسباب نزول القرآن الكريم من وجه نظر مجموعة من العلماء فقد ذكرت دراسات ومنها دراسة السيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد هادي معرفة والشيخ محمد رضا الجلالي وتقييم دراسته.

اما المبحث الثالث فقد تناول اهداف نزول القرآن الكريم، اول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه ولماذا نزل القرآن مفرقاً وكيف حفظ من التحريف

الكلمات المفتاحية: (نزول، القرآن الكريم، دراسة، الأهداف)

The Revelation of the Holy Quran – A Study of the Objectives

Mr. Ali Khadir Awad Sharif Al-Zaidi
Directorate of Education of Dhi Qar / Research and Studies Division
alijarjes30@gmail.com

Abstract:

The first section explores the significance of understanding the reasons for revelation (asbab al-nuzul). The research methodology involved categorizing verses based on their causes of revelation, identifying specific reasons behind particular verses, and analyzing the circumstances that led to their revelation.

The second section examines scholarly perspectives on the reasons for the Qurans revelation. It references studies by Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, Sheikh Muhammad

Hadi Maâ€™rifah, and Sheikh Muhammad Reza al-Jalali, providing a critical evaluation of their research.

The third section focuses on the objectives of revelation, discussing the first and last verses revealed, the wisdom behind the Quran being revealed in stages, and its preservation from distortion.

Keywords: (Revelation, Quran, Study, Objectives).

المقدمة:

لمعرفة أسباب النزول فوائد له لجريانه مجرى التاريخ ومن فوائد الوقوف على المعنى أو إزالة الأشكال قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها وقال أبن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن وقال ابن تيميه : معرفة أسباب النزول يعيب على فهم الآية فإن العلم في السبب يورث العلم في المسبب وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آية حتى وقف على أسباب نزولها فزل عنهم الإشكال وقد بسطت أمثلة ذلك في النوع التاسع من كتاب الإتقان في علوم القرآن وذكرت لها فوائد أخرى من مباحث وتحقيقات لا يحتملها هذا الكتاب قال الواحدي : ولا يحل القول في أسباب النزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : أتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن وقال غيره : معرفة أسباب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال : أحسب هذه الآية نزلت كما قال الزبير في قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون) وقال الحاكم في علوم الحديث إذا أخبر الصحابي الذي شهد التنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند ومشى على هذا أبن الصلاح وغيره ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله : (نساؤكم حرث لكم) الآية وقال ابن تيميه قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة أنها سبب النزول ويراد بها تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما نقول : عني بهذا الآية كذا وقد تنازع العلماء في قول الصحابي : فالبخاري يدخله في المسند نزلت هذه الآية في كذا

هل يجري مجرى التفسير منه الذي ليس مسند ؟ وغيره لا يدخله فيه واكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند احمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند انتهى وقال الزركشي في البرهان : قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد في ذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه مت نزلت الآية أيام وقوعه ليجرح ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة نوح وعاد وثمود ناء البيت ونحو ذلك وكذلك ذكره في قوله (واتخذ الله إبراهيم خليلا) وسبب اتخاذه خليلا فليس ذلك من أسباب نزول القرآن

المبحث الأول

فوائد معرفة اسباب النزول

من الواضح. أن لمعرفة أسباب النزول معطيات متنوعة؛ تتمثل في:

الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال» أو رفع الغموض الذي يقترن مع دلالة النص وفي هذا الصدد، أشار أكثر من باحث الى أنه: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها".

ومن المعطيات المترتبة على ذلك هو:

معرفة حكمة الله تعالى على التعيين وفي ذلك إدراك لروح التشريع وتأكيد بأن أحكام الله تعالى إنما وضعت رعاية للمصالح العامّة التي توخاها القرآن الكريم وأوضحتها السنة المطهرة.

ومن المعطيات الأخرى: إفادة ذلك إبعاد فكرة الحصر عن ذهن الباحث في بعض الآيات.

ومنها: معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ما ورد مخصص لها. ومنها: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين.

وأخيرا: تيسير الحفظ والفهم وتثبيت الوحي في أذهان السامعين حيث تربط الآيات بالحوادث.

ولا تفوتنا الإشارة في نهاية المطاف الى ملاحظتين؛ هما[1]

أولا: - الآيات والسور التي لها في نزولها سبب خاص

بعض الآيات والسور الشريفة لها سبب خاص في نزولها فهذه الآيات أو السور نزلت بعد ذلك السبب الخاص الموجب لنزولها.

ويمكن القول بأن هذه الآيات نزلت ردا على موارد معينة مثل:

١- وقوع حادثة مهمة وملفتة للنظر أو خطرة أو قبيحة.
٢- توجيه الاسئلة الى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من قبل المسلمين.
٣- تعرض المسلمين الى ظروف وحالات معينة تقتضي منهم ابداء موقف خاص بهم أزاء تلك الظروف.

وفي النتيجة يعقب هذه الأمور نزول آيات أو سور شريفة تتحدث عن مواضيع بشأن تلك الحادثة أو ذلك السؤال المطروح أو لتبيين الموقف الذي ينبغي على المسلمين اتخاذه أزاء هذه الحالة.

ثانيا: - الآيات والسور التي ليس في نزولها سبب خاص

كثيرة هي السور والآيات القرآنية المباركة التي نزلت دونما أن يكون لها صلة بسؤال أو حادثة أو واقعة معينة حصلت قبل نزولها بل ان سبب نزولها عام أو شامل وهو حاجة جميع الناس للتوجيهات الالهية وتعويض العجز الفكري للبشر عن طريق الوحي حتى يمكن عبر هذا الطريق تمييز الحق من الباطل.

ويمكن تصنيف مثل هذه السور والآيات الشريفة الفاقدة لأسباب خاصة في النزول الى ما يلي:

أ- الآيات والسور المباركة التي تحكي تأريخ ووقائع الأمم الماضية مع أنه ينبغي الاشارة هنا الى أن بعض هذه الآيات نزلت أثر سؤال من المسلمين أو بسبب خاص آخر.

ب- الآيات والسور القرآنية التي تحكي اخبار الغيب وتصوير آفاق عالم البرزخ والجنة والنار وأحوال يوم القيامة وما يتعلق بأحوال أهل الجنة وأهل النار وأمثال تلك من التي لا يمكن العثور على سبب خاص في نزولها.

ختاما: نأمل من الله تعالى أن يسددنا جميعا لخدمة القرآن العظيم.

منهجنا في الاعداد

١- الابتعاد عن التأويل في بيان أسباب النزول إلا ما ندر.
٢- جعلت لكل آية فيها سبب نزول رقما خاصا يتسلسل مع الآيات اللاحقة.
٣- جعلت لكل حديث فيه بيان سبب النزول رقم خاصا لا يتكرر حتى وإن تكررت الأحاديث في السورة أو الآية الواحدة أو الآيات.
٤- الاعتماد في بيان سبب النزول على الروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآلة) وأهل البيت (عليهم السلام) وفي حال دعت الضرورة أذكر روايات العامة تأييدا وتوثيقا.
٥- جرى التركيز في هذا الكتاب على الآيات والسور التي لها فى نزولها سبب خاص[2]

أقسام الآيات بالنسبة لسبب النزول:

تقسّم آيات القرآن إلى:

قسم نزل بدون سبب وهو أكثر القرآن.

قسم نزل مرتبط بسبب من الأسباب. ومن هذه الأسباب:

حدوث واقعة معينة فينزل القرآن بشأنها، مثال ذلك ما

رواه البخاري في صحيحه»، لما نزلت (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (سورة الشعراء :٢١٤) صعد النبي على الصفا، فجعل ينادي ": يا بني فهر، يا بني عدي"، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ " قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال ": فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد." فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (سورة المسد: ١-٢) (٣).

أن يُسال النبي محمد عن شيء، فينزل القرآن ببيان الحكم، مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: «كنت مع النبي في حرث بالمدينة؛ وهو يتوكأ على عسيب؛ فمر بنفر من اليهود» فقال بعضهم سلوه عن الروح؛ وقال بعضهم: لا تسألوه؛ لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم» حدثنا عن الروح. فقام ساعة ينظر؛ فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي [4]، ثم قال: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلً) (سورة الاسراء :٨٥)

المبحث الثاني

أسباب نزول القرآن الكريم

إنَّ الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله، باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان؛ فأما القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني لم يرتب بما ذكرناه. وأما النقصان فإن العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه؛ وقد امتحنت مقالة من ادعاه، وكلمت عليه المعتزلة وغيرهم طويلا فلم اظفر منهم بحجة اعتمدها في فساده. وقد قال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتا في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله وذلك كان ثابتا منزلا وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجزة وقد يسمى تأويل القرآن قرآنا قال الله تعالى: (وَلا تُعْجَل بالُقرآن من قبل أن يُقَضَّى إِلَيْكَ وَحَيّهُ وقل رْبْ زدني علماً) (سورة طه: ١١٤)

فسمي تأويل القرآن قرآنا، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف. وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل» وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب .وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها من وجه ويجوز صحتها من وجه؛ فالوجه الذي أقطع على فساده أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه على حد يلتبس به عند أحد من الفصحاء، وأما الوجه المجوز فهو أن يزاد فيه الكلمة والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك مما لا يبلغ حد الإعجاز» ويكون ملتبسا عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن؛ غير أنه لا بد متى وقع ذلك من أن يدل الله

عليه؛ ويوضح لعباده عن الحق فيه؛ ولست أقطع على كون ذلك بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه؛ ومعي بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام؛ وهذا المذهب بخلاف ما سمعناه عن بني نوبخت رحمهم الله من الزيادة في القرآن والنقصان فيه؛ وقد ذهب إليه جماعة من متكلمي الإمامية وأهل الفقه منهم والاعتبار.[5]

في القرآن ناسخا ومنسوخا كما أن فيه محكما ومتشابها بحسب ما علمه الله من مصالح العباد.

قال الله عز اسمه: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (سورة البقرة (١٠٦)

والنسخ عندي في القرآن إنما هو نسخ متضمنه من الأحكام وليس هو رفع أعيان المنزل منه كما ذهب إليه كثير من أهل الخلاف؛ ومن المنسوخ في القرآن قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) (سورة البقرة: ٢٤٠)

وكانت العدة بالوفاة بحكم هذه الآية حولا ثم نسخها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) (سورة البقرة :٢٣٤)

واستقر هذا الحكم باستقرار شريعة الإسلام» وكان الحكم الأول منسوخا والآية به ثابتة غير منسوخة وهي قائمة في التلاوة كناسخها بلا اختلاف. وهذا مذهب الشيعة وجماعة من أصحاب الحديث وأكثر المحكمة والزيدية.

ويخالف فيه المعتزلة وجماعة من المجبرة» ويزعمون أن النسخ قد وقع في أعيان الأي كما وقع في الأحكام؛ وقد خالف الجماعة شذاذ انتموا إلى الاعتزال: وأنكروا نسخ ما في القرآن على كل حال. وحكي عن قوم منهم أنهم نفوا النسخ في شريعة الإسلام على العموم؛ وأنكروا أن يكون الله نسخ منها شيئا على جميع الوجوه والأسباب [6]، لقد قلنا ان كثيرا من السور والآيات ترتبط بالحوادث والاحداث التي وقعت ايام الدعوة كسورة البقرة والحشر والعاديات [7]، او نزلت لحاجات ضرورية من الاحكام والقوانين الإسلامية كسورة النساء والانفال والطلاق واشباهها .[8]

هذه القضايا التي سببت نزول السور او الآية هي المسماة ب «اسباب النزول» ومعرفتها تساعد الى حد كبير في معرفة الآية المباركة وما في معرفة الآية المباركة وما فيها من المعاني والاسرار. ومن هنا اهتم جماعة من محدثي الصحابة والتابعين

- دراسة السيّد محمد باقر الصدر (قدس سره)

ساهم السيّد الصدر (قدس سره) في بحث أسباب النزول» وذلك في إطار دروسه حول علوم القرآن» والتي شرت في كتاب: "المدرسة القرآنيّة" .[9]

وقد شرع السيّد الصدر ببيان "فوائد نزول القرآن وفق أسباب النزول .[10]

ثمّ قام ب "تعريفه" وبيان الأقسام التي يشملها هذا التعريف؛ وبالتالي بيان دائرة الآيات التي يكون لها أسباب للنزول » تلا ذلك كلامه حول: "الفائدة في معرفة السبب" » وهنا أعاد صياغة ما ذكره علماء القرآن باختصار؛ تحدث بعدها عن مطلب "تعد السبب والمنزل واحد" و"تعدد نزول آيات لسبب واحد" » لينهي البحث بالحديث عن كون "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، مبيّنا الرأي المشهور بين الأصوليّين في هذا البحث، ثمّ شفعه بتأييده وتعزيزه بما جاء من نصوص أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .وعلى العموم مباحث هذا الباب مختصرة:؛ وعدا قليل من التغييرات الشكليّة وبعض اللفتات الفنيّة التي عوّدنا عليها السيّد الصدر، فإنه يصعب أن تجد فيه نظرةٌ جديدةٌ لأسباب النزول» أو محاولة تكييفه في العمق مع المنظومة الشيعيّة بل تُعدَ هذه الدراسة خلاصة ما ذكره الزركشيّ والسيوطيّ في دراية هذا الباب» ولذا تحسب نفسك عند قراءته أنك تقرأ البرهان أو الإتقان بلغة عصريّة. ونشير إلى أن السيّد محمد باقر الحكيم في كتابه "علوم القرآن"؛ عند وصوله إلى بحث "أسباب النزول"» قد اكتفى بنقل البحث الذي قدمه أستاذه السيّد الصدر، مشيرًا في الهامش إلى المصدر .[11]

- دراسة الشيخ محمد هادي معرفة:

خص الشيخ معرفة "أسباب النزول" ببحث خاص؛ في موسوعته في علوم القرآن» فعرضها تحت عنوان: "معرفة أسباب النزول [12]، وذكر عدة مسائل ترتبط بهذا الموضوع: فقد بحث أوّلا قيمة هذه المعرفة» وحذا في ذلك حذو ما ذكره الواحدي والزركشي والسيوطي؛ ناقلا نفس الشواهد التي اعتمدوها، وربما أضاف رواية في نفس المعنى عن أهل البيت (عليهم السلام) أو مثالا عن مجمع البيان لا أكثر. ثمّ تعرض ل: "الطريق إلى معرفة أسباب النزول"» فحدثنا عن الطابع الغالب لأسباب النزول من الضعف والوهن» وقد أورد صفحات عديدة في الشواهد على ذلك؛ وبالتأكيد فهو قصد من ذلك الأسباب الرائجة المرويّة في كتب العامّة؛ من غير أن يشير إلى هذا التقسيم والفرق بينها وبين الروايات المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) في أسباب النزول. بعدها بحث الضابطة في اعتبار "أسباب النزول"؛ واختار وسيلة "لعلها أدقّ وأوفق للاعتبار وأكثر اطرادًا مع ضوابط التاريخ" كما ذكر،

والبحث في ضابطة اعتبار "أسباب النزول" مهمّة جدا من ناحية الاعتماد على أسباب النزول؛ وتمثل لب هذا المطلب؛ وإذا وقفنا فسنبحثها في مقال مستقلَ مفصلين الكلام عن الاعتبار في تلك الأسباب المرويّة عن التابعين: مقابل الروايات المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام).بعد ذلك بحث الشيخ معرفة الفرق بين" سبب النزول" و"شأن النزول[13] وأشار إلى ما ذكره الزركشي في هذا المجال؛ ثم أورد ما اعترض به السيوطي على الواحدي فيما يرتبط بهذه النقطة؛ مبدئيًا عدم موافقته لما ذهب إليه السيوطي .ثم جره الحديث إلى مطلب "التنزيل والتأويل" في روايات أهل البيت (عليهم السلام)؛ وما ذكروه من ظهور وبطون الآيات ليضفيّ إلى مطلب "عموم اللفظ وخصوص السبب" المبحوث في بطون كتب علوم القرآن –وغيرها– جنبة روائيّة» وقد وفق في ذلك إلى حدٍّ كبير» إلا أنه جعل بحث "عموم اللفظ وخصوص السبب" بحا مستقلا عنه واكتفى فيه بعرض ما هو معروف من إثارات علماء العامّة في هذا الموضوع ؛ من غير أن يجمع بين المطلبين!

وفي بحث أخر نقل عن الواحدي كلامّه في لزوم حضور ناقل السبب ومشاهدته بنفسه وعلق على الأمر» توسعة وتضييقا، من غير أن ينفذ إلى عمق هذا المطلب وفي الختام ذكر مطلبين عامّين يرتبطان بالتفسير أكثر من ارتباطهما ببحث "أسباب النزول": أحدهما: نزول القرآن بصيغة: "إياك أعني واسمعي يا جارة"؛ كما ورد في الرواية؛ والثاني: في "كيف الاهتداء إلى معالم القرآن؟".

زبدة المقال:

على العموم؛ فإن دراسة الشيخ معرفة حاولت هي الأخرى فتح باب الحديث حول أسباب النزول وفق نظريّة أهل البيت (عليهم السلام)» إلا أنها لم تقتم الكثير في عمق هذا المطلب؛ فضلاً عن أن أكثر الأبحاث فيها لم تعالج وفق نظرة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)؛ بالإضافة إلى عدم استيفاء أهمّ أبحاث أسباب النزول فجاءت مبتورة إلى حدٍّ بعيد. ومن اللافت أن هذه الدراسة قد افتقدت الترتيب المنهجيّ وتسلسل الأبحاث؛ على خلاف عادة سماحة الشيخ معرفة.

- دراسة السيّد محمد رضا الجلالي:

قم السيّد الجلاليَ دراسة حول أسباب النزول؛ نشرتها مجلة تراثنا في العدد الرابع[14] وهي في الوقت عينه مقدمة كتاب له: شرع السيّد في هذه الدراسة بالحديث عن أهميّة أسباب النزول»: فكرر في البداية ما ذكره علماء العامّة في كتبهم؛ فيعود بك إلى كتاب البرهان أو الإتقان مستخدمًا عباراته

الخاصّة؛ لكته أضاف لاحقًا عددًا من الإشكالات الواردة على أهميّة هذا البحث» وأجاب عنها بما ذكره علماء القرآن» مشفوعًا بروايات أهل البيت (عليهم السلام).ثمّ تحدث عن طرق إثبات أسباب النزول؛ وهو ما دعاه أوّلا إلى تعريف أسباب النزول؛ حيث قام بتوسعة التعريف المتداول.

بعدها بِيّن ما ذكره علماء القرآن من اشتراط كون أخبار أسباب النزول منحصرة بمن شاهد الوحي. وتعرّض في المقام اللاحق إلى بحث حجيّة أسباب النزول» ولم يخرج في ذلك عن دائرة ما سلكه العامّة من تقييم للأسباب الرائجة وكيفيّة إيجاد مخرج لمأزق اعتبارها كونها مرويّة عن التابعين لا عن المعصومين ولا عن شاهدي الوحي. وأخيرا ذكر مسردا للكتب الشيعيّة المصنفة في أسباب النزول؛ وقد وفق كثيرً! في الإشارة إلى عدد كبير من الكتب الشيعيّة التي ورد في طيّاتها روايات وأحاديث أسباب النزول؛ سواء أفردتها ببحث مستقل أم لم تفعل -وهي الأغلب-

تقييم دراسة السيد الجلالي:

إنَ دراسة السيّد الجلالي على أهميّتها وكثرة فوائدها وتنظيمها من حيث تسلسل المطالب، وتقديمها لمسرد مهم في عالم كتابة أسباب النزول؛ تحوم حولها مجموعة من الملاحظات: إنَ هذه الدراسة؛ وإن مثلت في بعض جوانبها -التعريف والمسرد- شيئًا من النظرة الشيعيّة لأسباب النزول؛ إلا أنها لا تلبث أن تعود إلى أحضان دراسات أهل العامّة في هذا المجال؛ ولا سيّما في الخطوط العامّة للمطلب؛ حيث تقع في فح التقليد لما أورده العامّة» ولا شك أن ذلك يعود إلى عدم وجود دراسات لدى علمائنا السابقين حول هذا الباب بشكل مستقل. كما أن السيّد وإن وفق إلى حدّ بعيد في الالتزام بتوسعة التعريف، إلا أن السبيل الذي سلكه لا يفي بالمطلوب؛ وهذا أيضًا مطلب شائك نسأل الله أن يوفقنا لدراسته في القادم من البحوث. على أن الباحث قد اكتفى ببحث حجيّة واعتبار أسباب النزول المرويّة عن التابعين» ممّا يشير إلى أنّ اهتمامه قد وقع على الأسباب الرائجة المرويّة في كتب العامّة دون روايات أهل البيت (عليهم السلام)؛ من غير أن يُشير أو يُلاحظ هذا التقسيم! أمّا المسرد فعلى أهميّته إلا أنه لا بد من الإشارة إلى ملاحظات حوله: [15]

١. ذكر السيّد الجلاليَ في هذا المسرد الكتبّ التي تتناسب مع التوسعة التي أضافها إلى التعريف المتداول» ولذلك فإنه أورد كتبًا تُعتبر من كتب الفضائل.

٢. أورد بعض الكتب التي لم يثبت أنها من كتب أسباب النزول؛ ككتابي التنزيل للعيّاشي والمديني، من غير أن يُحقق في ذلك.
٣. لم يتعرّض إلى تحليل معلومات مسرده هذا فبقي جامدا بلا حراك.
٤. لا ينسجم مسرده كثيرًا مع ما ذكره في بحث الحجيّة والاعتبار» حيث بدا هناك أنه يبحث الأسباب الرائجة ومشكلة اعتبارها وأنَ جل اهتمامه ينصب عليها -كما تقدم-؛ فيما القسم الأكبر من مسرده هو من نوع روايات أهل البيت (عليهم السلام)؛ التي لم يتعرّض لها أصلا في ذلك البحث.

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى أنه ينقص هذه الدراسة مباحث شيعيّة ضروريّة وهامّة لا غنى عنها في مجال أسباب النزول.

المبحث الثالث

أهداف نزول القرآن الكريم

يحسن بنا قبل الدخول في بحث أصل الموضوع (الهدف من نزول القرآن) أن نتناول أهميّة البحث فيه. ويمكن أن نشير بهذا الصدد وبشكل مختصر إلى النقاط التالية:

الأولى: إن فهم القرآن الكريم يتأثر بمجموعة من القضايا:

كأن تكون الرؤية في تفسيره إسلاميّة» ومن منطلق أنه وحيّ إلهي وليس نتاجا بشريًا» وأن نعرف الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم؛ وأسباب النزول التي تمل القدر المتيقن من المصداق في المفهوم القرآني.

ومن أهمَّ هذه القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم» معرفة الهدف من نزوله؛ لأن الهدف بطبيعة الحال يلقي بظلاله على المعنى القرآني» بحيث يكون إحدى القرائن العامّة المنفصلة التي تكتنف النص. فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الكتاب أنه تبيان لكل شيع (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (سورة النحل: ٨٩) يمكن أن نفهم (كلّ شيء) هنا على ضوء (الهدف من نزول القرآن)؛ فالمراد من التبيان هو التبيان الشامل لما يرتبط بهذا الهدف؛ وهكذا في الموارد الأخرى.

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل صنه:

ان اول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (سورة العلق :١-٥)

فهذه الآيات الخمس بعد البسملة؛ هي اول ما نزل من القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غار حراء. اما الآيات الاخرى من سورة العلق فقد نزلت بعد فترة من الزمن ثم وضعت في موضعها الذي هي فيه من السورة؛ غير ان هناك آراء وروايات تتحدث عن ان اول ما نزل من القرآن هو سورة المدثر، واخرى تذهب الى ان اول ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة. واختار الطوسي والطباطبائي في تفسيريهما: ان اول ما نزل من القرآن؛ هو الآيات الخمس من سورة العلق. وكما اختلف في اول ما نزل من القرآن» اختلف كذلك في آخر ما نزل منه؛ فقيل هي سورة براءة؛ وقيل سورة: إذا جاء نصر الله والفتح؛ وقيل سورة المائدة؛ وقيل غير ذلك.[16]

ويرجح علماء الشيعة الامامية ان آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (سورة المائدة: ٣)

لماذا ازل القرآن مفرقا:

اثار المشركون شبهة ملخصها: ان نزول القرآن مفرقا يعني ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس مرسلا بدين من الله سبحانه، اذ لو كان وحيا الهيا على زعمهم لنزل دينا كاملا مرة واحدة. ونزوله مفرقا يعنى انه قول البشر يتأمل نصوصه فيأتي بها.

فرد عليهم القرآن» وبين الحكمة من النزول مفرقا، فقال تعالى: (وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ورَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً) (سورة الفرقان :٣٢)

ويمكن ان يكون سبب هذه الشبهة ما هو معروف من اخبار الديانات السابقة» ان الكتب انزلت مكتوبة جملة واحدة» وكيفية نزول القرآن تختلف عن كيفية نزول التوراة والانجيل والزبور» فالقرآن نزل قراءة ومفرقا، اما تلك الكتب فقد نزلت مكتوبة جملة واحدة وبصيغتها الكاملة. وقد ذكر القرآن ذلك؛ كما في قوله تعالى: (وكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شيء مَوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِكُلِّ شيء فَخُذْها بِقُوَّةٍ وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ) (سورة الأعراف :١٤٥).

وقال تعالى: (ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وفِي نُسْخَتِها هُدىً ورَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (سورة الأعراف: ١٥٤).

وهكذا يوضح القرآن ان التوراة أنزلت مكتوبة بشكلها الكامل في الألواح؛ وبهذه الصيغة تلقاها موسى (عليه السلام). وقد بين القرآن الحكمة من نزوله مفرقا في الآية (٣٢) من سورة الفرقان، كما وبين ذلك في الآية**(145) (**

وملخص الحكمة في الآيتين هو:

١. لنثبت به فؤادك.
٢. لتقرأه على الناس على مكث.
٣. فالحكمة اذن هي ان استمرار نزول الوحي؛ وتواصل نزول القرآن ومواصلة النبي بالقرآن» يثبت فؤاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقوي موقفه الجهادي في مواجهة

التحديات اولا وثانيا ان الرسالة الإسلامية رسالة تغيير شامل؛ وتسعى لبناء مجتمع ودولة وحضارة؛ وتثبيت قانون ونظام. والتغيير والبناء يقتضي التدرج في التبليغ لمواصلة عملية الهدم والبناء؛ ولترسخ الدعوة في النفوس» وتستوعب العقيدة والأحكام والمفاهيم بشكل تدريجي، وليستقبل الناس التغيير على مراحل، وليتفاعلوا مع مبادئ القرآن، وتتهيأ النفوس لتحمل التكاليف.

وهكذا يكون العامل الزمني والنزول التدريجي قضية ضرورية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وللمجتمع كما يوضح القرآن ذلك.

ولعل البحث يدعونا الى ان نذكر ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان نبيا قبل ان يبعث رسولا، أي قبل ان ينزل عليه القرآن في غار حراء، وهذا يعني ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتلقى تعاليم قرآنية بمعانيها ودلالاتها ليعد ويهيا لمهمة تلقي القرآن» وحمل الرسالة الكبرى.

وقد ذهبت بعض الآراء الى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تلقى وحيا الاركان الاساسية والخطوط الكبرى لأمهات الكتاب جملة واحدة؛ ثم نزل القرآن بأكمله مفرقا عبر سني التنزيل.

حفظ القرآن من التحريف:

لم يحظ كتاب على وجه البسيطة بالعناية والاهتمام كما حظي القرآن الكريم؛ فمنذ بدا الوحي وتلقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الخطاب الالهي المقدس؛ كان اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) به عظيما، وشغفه به فريداء وحبه له منقطع النظير.

وقد خلد الوحي الالهي هذا الاهتمام النبوي بنص قوله تعالى: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (سورة القيامة :١٦-١٨).

سجل المؤرخون وكتاب السير، والمهتمون بعلوم القرآن وتاريخه؛ ان النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) كان يدون كل ما ينزل عليه من وحي، وان عددا من الصحابة كان يحفظ القرآن. كما دلت الروايات التاريخية ان عددا من الصحابة كانت لهم مصاحف يختلف ترتيب السور فيها من صحابي الى صحابي آخر وعدوا مصحف الامام علي (عليه السلام)» ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف ابي بن كعب (رضى الله) ...الخ.

ولقد تلقى المسلمون القرآن الكريم جيلا بعد جيل بالحفظ والقراءة والتفسير والدارسة؛ وبشكل متواتر، لا يعطي مجالا لاحد ان يخفي؛ او يسقط شيئا منه» كما ليس بوسع أحد ان يضيف اليه لنشوز المضاف، وتميزه عن كلام الله تعالى [17]

لا يمكن للهدفيّة أن تنفك عن فعل الإنسان الحكيم؛ وكلما كان فعله ذا أهمية بالغة اطردت وتزايدت الهدفيّة فيه ونأت بعيدا عن اللغويّة» الأمر الذي يعتبره العقلاء أقرب إلى البداهة من غيرها، هذا في الإنسان» فكيف بفعل المبدع القدير خالق السماوات والأرضين، العالم بخفايا كل الوجود، والذي أرسل لهذا الإنسان الأنبياء والرسل بالشرائع؛ عسى أن يتخذها سبيلا لنيل رضاه عنّ وجل؛ فمن العجيب بل المستحيل عقلا أن تخلو تلك الشرائع وأحكامها من الهدفيّة، وخصوصا الشريعة الخاتمة التي أراد لها الله الخلود والطراوة في جميع الأزمنة. وحتى تؤدي ما عليها لزم أن تتّصف بما يجعلها تحاكي كل التطورات والتقلبات التي تمر بها البشريّة، وما يحدث في المجتمعات من تحولات تقتضي حلولا شرعيّة ناجعة تحافظ على الهدف الأساس من وجود الإنسان على هذه البسيطة وخلافته لله تعالى فيها.

ولكن عبر ما سطره السيد الشهيد محمد باقر الصدر في فكره النيّر، وبما امتاز به من عبقريّةٍ قل مثيلها، أخذ يرمي ببصره أطراف الإسلام ونواحيه من جهة؛ ودقق البصر في أعماقه من جهةٍ أخرى؛ ليستكشف مكنوناته؛ فرأى أن الإسلام منظومة متكاملة مترابطة تنبع من عمق الحياة فعكف يصوغها بالشكل الذي يتناسب مع العصر، ويجذب إليها الأجيال الصاعدة.

إن الخطاب الديني لا يحتاج إلى تجديد بمعنى التغيير، وإنما يحتاج إلى إصلاح؛ وإصلاحه بأن ننفض عنه الغبار والدرن الذي غطا به فقه المصالح ومناسك الأموات» وبأن تعاد أجزاؤه التي قام

بتفكيكها تجار الدين ليشتروا به ثمنا قليلا، وبأن يتم الربط بين جميع أجزائه كي يتحرك. والدين إذا لم يتحرك فهو ليس بدين؛ لأنَ الدين طريق وسبيل؛ وهو الصراط المستقيم نحو وصول الأمّة إلى أعظم النعم وخير الأمم، ولا معنى للسبيل وللصراط إذا لم تكن هناك حركة؛ وإذا لم يصبح الدين محركا فإنه يتحوّل إلى أفيون؛ لأنَ التوقف في الصراط تراجع وتخلف. والجهاز لا يتحرك إذا لم تترابط جميع أجزائه؛ ولاسيّما الأساسية منها، وأهمّ أجزاء مركبة الدين؛ الوحي والنبوّة والعقل. والعقل هو الحلقة الأولى التي ينبغي أن تتحرك نحو الوحي والنبوة؛ فإذا اندمجت بهما فإنهما يثيران فيها (دفائن العقول). وحينئذ سوف ينهض نبي الباطن (العقل) على شكل طاقة هائلة، تكشف أهداف الوحي والنبوة وأسرار الأعماق والآفاق؛ وعندها سوف يقوم النبي الباطن بتحريك واقع الحياة نحو أهداف النبي الظاهر؛ فيربط المعاش بالمعاد في صراط المنعم عليهم: وفي طريق: (فمَن تبِع هُدَاي فلا يَضلُ ولا يشقى) (سورة طه:١٢٣).

ولكن إذا ما غاب النبيّ الباطن أو سجن وبقيت دفائن العقول تحت تراب الأهواء المختلف الألوان، فإنَ النصّ المعصوم (الوحي والنبوة وامتدادها القطعي) سوف يفقد بابه ومفتاحه والكاشف عنه؛ ولن يجد طريقه لتحريك المجتمع الإنساني نحو كماله المنشود.

وإنا لنرجوا أن تكون هذه السطور المتواضعة عبقا من نسيم النبوة فتكون فيها إثارة للنبي الباطن» وإنارة للدارسين والباحثين في مجال الاستنباط والثقافة الدينيّة تمكنهم من القراءة الأمثل للواقع والنص المعصوم؛ كي يتمكنوا من صناعة الخطاب الديني الذي يُصلِح الحياة، بل يحرك ويصنع الحياة.

لقد كان للمؤلف السيّد عبد المطلب رضا دوره البارز في وضع النقاط على الحروف في كل محاور البحث بما امتلك من قدرةٍ على تتبّع كلمات صاحب النظريّة (نظرية فقه الأهداف)، مضافا لمناقشاته العلميّة القويمة؛ ليظهر معالم هذه النظريّة بشكل متين ورائع؛ عسى أن تنتفع بها الأمَةَ الإسلاميّة» وتجعلها هدفا تسعى نحوه .[18]

الخاتمة:

وبحمد الله ونعمة منه وفضله ورحمته، نضع قطرتنا الاخيرة في البحث بين تفكر وتعقل في الاعجاز العلمي وآثاره وقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل، ومعراج الأفكار، فما هذا الجهد مُقل ولا

ندعي فيه الكمال، ولكن عذرنا أنا بذلنا للتنقية قصارى جهدنا فأن أصبنا فذاك مرادنا، وأن اخطأنا، قلنا الشكر في المحاولة اكملت بحثي واستخرجت النتائج التالية:

١- معرفة حكمة الله تعالى على التعيين وفي ذلك إدراك روح التشريع وتأكيد بأن احكام الله وضعت رعاية للمصالح العامة.

٢- ومن اهم القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم معرفة الهدف من نزوله لأن الهدف بطبيعة الحال يلقي بضلاله على المعنى القرآني

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١- السيد مجيب جواد جعفر الرفيعي، (اسباب نزول القران الكريم)، مركز الابحاث العقائدية، مكتبة اهل البيت، ص ٩، ٢٠٠٩

٢- المصدر نفسه

٣- صحيح البخاري؛ عن ابن عباس رقم:**4770**

٤- صحيح البخاري؛ عن عبد الله بن مسعود؛ رقم: ٧٢٩٧

٥- الشيخ المفيد :(القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان)؛ ص٨٠-٨٢

٦- الشيخ المفيد، (القول في ناسخ القران ومنسوخه) ص ١٢٣-١٣٢

٧- نزلت سورة البقرة في السنة الاولى من الهجرة» وكثير من آياتها في تقريع اليهود الذين كانوا يقفون دون التقدم الإسلامي، وبقية آياتها في تشريع بعض الاحكام كتغير القبلة وتشريع الصوم والحج وغيرها. وسورة الحشر نزلت في خصوص جلاء يهود بني النضير» وسورة العاديات نزلت في خصوص اعراب وادي يابس او غيرهم.

٨- سورة النساء تتحدث عن احكام الزواج وارث المرأة» وسورة الانفال تتحدث عن غنائم الحرب والاسراء، وسورة الطلاق تتحدث عن خصوص احكام الطلاق.

٩- تمت أخيرًا طباعة الكتاب طبعة جديدة؛ وتولى الأمر: مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع، ضمن مجموعة تراث الشهيد الصدر، راجع البحث: ٢٢٧ – ٢٣٢

١٠-السيد محمّد باقر الصدر: منس؛ ص٢٢٧.

١١-محمّد باقر الحكيم: علوم القرآن؛ مجمع الفكر الإسلامي» ط؛ ص٣٧ – ٤٣.

١٢-الشيخ محمّد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن؛ مؤسسة النشر الإسلامي» ط١ ج١ ص ٢٣٧-٢٦٧

١٣-سيأتي أن كلامه في ذلك لم يخلٌ من تشويش؛ وخروج عن المصطلح!

١٤-مجلة تراثنا، العدد الرابع، ص ١٦-٦٩

١٥-حمّد بهرامي-سيّد إبراهيم سجادي: مجلة بزوهشهاي قرأنى؛ نقد وبررسي كتابهاى أسباب نزول» ص ١٥٠-١٥١

١٦-السيد هاشم الموسوي، (القرآن الكريم نزول القرآن)» بحث منشور، ٢٠١٠

١٧-المصدر نفسه

١٨-عبد المطلب رضا: (فقه الأهداف في فكر الشهيد الصدر) تقويم النص: محمد الحلفي، الإخراج الفني: علي خالد الأسدي، الناشر: منشورات المحبّين، المطبعة: الكوثر، العدد:٣٠٠٠نسخة، الطبعة: الأولى/ .**2014**

المصادر والمراجع

*القران الكريم

١. مجيب جواد جعفر الرفيعي ٠ (اسباب نزول القرآن الكريم)؛ مركز الابحاث العقائدية، مكتبة اهل البيت **2009**

٢. البخاري، صحيح البخاري؛ عن ابن عباس، (تفسير القران)، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان

٣. الشيخ المفيد؛ (القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والتقصان)

٤. المفيد، (القول في ناسخ القرآن ومنسوخه(

٥. الصدر محمد؛ (تمّت أخيرًا طباعة الكتاب طبعة جديدة، وتولى الأمر: مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع، ضمن مجموعة تراث الشهيد الصدر.

٦. محمّد باقر الحكيم: علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلاميّ، ط ٤.

٧. . محمّد هادي معرفه: التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ ج١.

٨. مجلة تراثنا، العدد الرابع.

٩. هاشم الموسوي، (القرآن الكريم نزول القرآن)، بحث منشور؛ ٢٠١٠.
١٠. عبد المطلب رضا، (فقه الأهداف في فكر الشهيد الصدر)، تحقيق محمد الحلفي، منشورات المحبين، المطبعة الكوثر، العدد ٣٠٠٠ نسخة، ط١، ٢٠١٤ م.